Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣) أحمد بن يوسف

أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، مولى بن عجل، فقد كان جده «صبيح من أقباط مصر فلما اشتراه السري بن بشر العجلي واعتقه زال عنه الرق وبقي بينهما الولاء».

نشأ هذا الكاتب في بيت عريق في الترسل والإنشاء، فقد كان أبوه وجده كاتبين في البلاط العباسي، كتب جده «القاسم» لعبد الله بن علي عم المنصور، ونهض بالأمر من بعده ابنه يوسف بن القاسم، فلما آلت الخلافة للمهدي كتب لوزيره يعقوب بن داود، ومن ذلك نعلم إلى أي حد كان كاتبنا يتقلب منذ صباه في مهاد البلاغة، فيرتشف أفاويقها طفلاً، ويستدر أخلافها يافعاً، وكذلك كان أخوه القاسم وأولادهما، ويبدو أن أباه أدبه فأحسن تأديبه؛ فشب متفصحا بكتاب الله ملماً بتعاليم الشريعة الغراء، وخاصة ما كان له صلة بالأحوال الشخصية والمعاملات؛ فضلاً عن صناعة الكتابة والآداب السلطانية.

ذكر ياقوت عن الصولي: أن أول ما ارتفع به أحمد بن يوسف كان عقب مقتل الأمين، فقد طلب طاهر بن الحسين إلى الكتاب أن يكتبوا للمأمون فأطالوا، وهذا ما لم يستحسنه طاهر، فلما كتب أحمد بن يوسف بلغ الغاية مما يريد، ومن ذلك الوقت بدأ نجمه في الصعود، وصيته في الذيوع لتجويده في موضوع دقيق تصعب فيه الإجادة وها هي ذي رسالته:

«أما بعد: فإن المخلوع قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، قد فرق بينهما حكم الكتاب في الولاية والحرمة بمفارقة عصمة الدين وخروجه عن اجماع المسلمين، لقول الله عز وجل فيما اقتص علينا من أنباء نوح وابنه «إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح. ولا طاعة لأحد في معصية الله ولا قطيعة ما كانت في ذات الله، وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه الكائد له فيمن خان عهده، ونقض عقده، حتى رد به الألفة بعد فرقتها، وجمع الأمة بعد